في كتابه" أزمة العلوم الأوروبية والفنومينولوجيا الترنسندنتالية هوسرّل مسألة (العالم)، ليس بوصفها مشكلًا جزئيًّا للفلسفة؛ بل بوصفها المشكل الفلسفي الأعظم في أفق الحداثة الأوروبية، والإنسانية الأوروبية. ويكمن وجه الطرافة في طرح هوسرل، كونه يسائل العلوم الأوروبية، على أنها فشلت في مساعدة "الإنسانية الأوروبية"، على معرفة العالم الذي تعيش فيه؛ بل عوّضته بعالم آخر، عالم "موضوعي"، ولكن لا يمتلك صلة حقيقيّة بالإنسانيّة، أو بالذاتيّة التي أنتجته. والسؤال هو: كيف يمكن للفلسفة أن تنجح في إعادة طرح معرفتنا الحديثة بالعالم، في ضوء مساءلة فينومينولوجية لمعنى العلوم الأوروبية، باعتبارها ظاهرة روحيّة متميّزة جدًّا، وهي آخر أكبر معرفة بالعالم؟

لنحدّد، أوّلًا، معنى أزمة العلوم الأوروبية، حسب هوسرل: إنّها أزمة ثقافة بأكملها. وأهمّ معنى لأزمة العلوم، هو: "فقدان دلالتها بالنسبة إلى الحياة". ولكن، لننتبه إلى أنّ الأمر لا يتعلق بالتشكيك في منجزات العلوم الحديثة؛ إذ إنّ "مشروعية إنجازاتها المنهجية" لا يمكن التشكيك فيها. إذن: يمكن أن ينجح العلم منهجيًّا، لكنّه سيظلّ من الناحية الفلسفية موضع سؤال. ونواة الإشكال للفلسفة، حسب هوسرل، هي: "لغز الذاتية" التي جعلت العلم الأوروبي ممكنًا؛ إذ لا يوجد العالم إلّا بالنسبة إلى ذاتيّة ما، والحال؛ أنّ العلوم الأوروبية تفترض أنّ موضوعيتها غير ممكنة، إلّا بالقطع مع الذات السيكولوجية التي أنتجتها. ومن ثمّ، فالعلوم لا تصبح موضوعيّة إلّا بقدر ما تخرج من اعتبارها كلّ "الأسئلة المتعلقة بمعنى هذا الوجود البشري بأكمله. المشكل، هو: أنّ العلم الوضعي قد أخرج أسئلة الميتافيزيقا من أفقه، ومنها السؤال عن "العالم" الذي نعيش فيه، أو عن "الإنسان" الذي نكونه، بوصفه مشكلًا ميتافيزيقيا، أو الإله الذي قد نؤمن به، أو الحرية التي قد نطالب بها، وبالتالي، أسئلة "المعنى" عامة. حسب هوسرل: إنّ كلّ هذه الأسئلة الميتافيزيقية، "تتخطّى العالم من حيث كلّية الوقائع المحضة". السؤال الفلسفي عن العالم، ليس سؤالًا عن الوقائع التي تؤسس فضاء الطبيعة؛ لأنّ ما تسأل عنه الميتافيزيقا: هو أمرٌ يتجاوز مستوى الوقائع الموضوعية، فالعالم ليس موضوعًا، أو واقعة موضوعيةً. وقد عوّلت الإنسانية منذ عصر النهضة الأوروبية، على "العلم" كي يبلغ بها إلى معرفة العالم معرفة كلّية، ولكنّ العلم، حسب هوسرل، قد فشل، وهذا الفشل "غير مفهوم" فلسفيًّا. وهكذا، فإنّ تهمة الوضعيين للميتافيزيقا، بأنّها قد أخفقت في أن تكون علمًا، هي تهمة مخاتلة؛ لأنّ العلوم هي التي فشلت في الإيفاء بما وعدت به الإنسان الحديث من معرفة كلية بالعالم.

فتحي المسكيني.

المطلوب: حلل النص تحليلا فلسفيا مبرزا:

- إشكالية النص
- موقف صاحب النص وحججه
- مناقشة رأيه في أفق كتابات معاصريه